بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى أهل الكتاب من النصارى واليهود

(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء)

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:
فإن الهجمة الشرسة على نبينا محمد ﷺ من قبل أعداء الحق ليست بوليدة اليوم، بل هي امتداد لعداوات متنوعة المشارب، تتفق كلها على معاداة الحق ومن أرسل به، فمنذ أن بعث الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام، ودعا الناس بجميع مللهم إلى التوحيد الخالص وإلى الفطرة المستقيمة التي دعا إليها جميع النبيين من نوح عليه السلام إلى عيسى بن مريم عليهما السلام، فإن الباطل كشر عن أنيابه، وأعلن عن عدائه السافر إلى هذا النبي الكريم الرحيم، يقود هذا العداء الشيطان وأئمة الكفر والشرك والزندقة، والذين يأكلون أموال الناس بالباطل من الأحبار والرهبان ومن السحرة والمشعوذين والكهان.

فقد وصفوه ﷺ بأنه ساحر وأنه كاهن وأنه مُعَلّم، وأن ما جاء به قراطيس تملى عليه بكرة وأصيلا، وقالوا عنه مُذمّم، وقالوا مالِ هذا الرسول يأكل الطعام، ويمشى في الأسواق، إلى غير ذلك من الأمثال والأوصاف التي يطلقونها لينفروا الناس عن دين الله، وليحولوا بينهم وبين الإيمان بهذا النبي العظيم وما أنزل عليه من كتاب عظيم.

ولقد حكى الله تعالى لنا في كتابه شيئا من هذا العداء السافر، فقال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٩ ﴾ الفرقان: ٤ – ٩

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٢ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤ ﴾ الفرقان: ٤١ – ٤٤.

فهذه الآيات تخبر عن العداء السافر والحقد الدفين ممن ضاقت نفوسهم من رسالة محمد ﷺ، وضربوا هذه الأمثال ليطفؤوا نور الله وليحولوا بين الناس وبين سماع ما جاء به الرسول ﷺ.

ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، ولن يستطيعوا. وسيبقى هذا الدين قويا حتى ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويحكم بشريعة محمد ﷺ. ولقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩ ﴾ الصف: ٦ – ٩

إن ما يصوره ويكتبه أعداء الإسلام حول نبينا محمد ﷺ لا يزيدنا إلا تصديقا بكلام ربنا وإيمانا برسالة نبينا.

إن رسالة نبينا محمد ﷺ هي رحمة للعالمين وإنقاذ للبشرية من العبوديات الباطلة إلى العبادة الحقة، ومن رق الأديان إلى حرية الإسلام الحقه، ومن الأنظمة الجائرة إلى الشريعة العادلة.

إن العباد لو تجردوا من الهوى، وتحرروا من أسر العقول لعرفوا الحق ولآمنوا وصدقوا برسالة محمد ﷺ.

فهذا هرقل ملك الروم، علم صدق نبوة محمد ﷺ بعد أن ظهرت له دلائل ذلك من إجابات أبي سفيان لأسئلته، فدعى قومه فقال: (**يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا لهذا النبي ؟**)

لقد قال هرقل ملك الروم لأبي سفيان :

(**سألتك عن نسبه؟ فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.**
وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله.
وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت : فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه.
وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.
وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.
وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب.

وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت «أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم على عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف»، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين! وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه).

ثم قرأ رسالة نبينا محمد ﷺ التي بعثها إليه وهي:

(بسم الله الرحمن الرحيم،

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم،

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

[أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٧]

وإنني لأدعو النصارى أن يتفكروا بهذه الدلائل التي استدل بها هرقل ملك النصارى في زمنه على صدق رسالة محمد ﷺ، والذي بشر برسالته عيسى عليه السلام. كما أدعوهم لتدبر رسالة النبي محمد ﷺ إلى هرقل ملك الروم.

فيا معشر أهل الكتاب أنقذوا أنفسكم من الضلال والشقاء فآمنوا بهذا النبي الرءوف الرحيم، الذي وصف نفسه بالعبودية وأنه رسول رب العالمين، ودعاكم إلى عبادة الله وحده، وأن لا تشركوا به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، لأن الربوبية لله وحده والألوهية والعبادة لله وحده فهو الخالق الرازق وهو المحيي المميت، وهو النافع الضار.

يا معشر أهل الكتاب لا يحول بينكم وبين الإيمان بهذا الرسول الرحيم أناس يصدوكم عن سبيل الله يبغونها عوجا، وليأكلوا أموالكم بالباطل. فتحرروا بعقولكم، وتجردوا من أهوائكم لتنالوا الفلاح والرشد ، ولتسعدوا في دار الدنيا والآخرة.
والسلام على من اتبع الهدى.

وكتبه

عبد الله بن صلفيق الظفيري

٢٣ رجب ١٤٣٧ هـ

(الموافق ١ مايو ٢٠١٦ م)